

الصدق

حديثنا اليوم عن صفة من صفات الأخيار عن صفة تميز بها أهل الإيمان من أهل النفاق وأهل الجنات من أهل النيران. وقد أمرنا الله جل وعلا من فوق سبع سموات أن نتصف بها فقال في محكم التنزيل: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)** التوبة ١١٩. وقد حثنا النبي الكريم ﷺ على التخلق بهذه الخصلة الكريمة، ألا وهي الصدق وحذرنا من التخلق بضعدها وهو الكذب حيث جاء في الحديث المتفق عليه من طريق ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً. فالصدق سبب كل خير وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلاً إلا صرعه. من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته فهو روح الأعمال وأساس الدين ودرجته تالية لدرجة النبوة أعلى درجات العالمين **(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)**. والصدق يجلب على أصحابه السعادة والطمأنينة بخلاف ما يجده أهل الكذب من انقباض في صدورهم وبعدهم عن الطمأنينة. فقد جاء في الحديث الذي رواه الترميذي عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: دع ما يريئك إلى ما لا يريئك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريب. واعلم يا أخي الحبيب أن أعظم ما في الصدق أنه يقود صاحبه إلى الجنة وهذا هو الفوز العظيم قال ﷺ: أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً.

عباد الله: بناءً على ما ذكرناه من الآيات والأحاديث في فضل الصدق تبين لنا أهمية الصدق وإنه ينبغي على كل مسلم أن يلزم نفسه ويعودها على الصدق. والصدق كما عرفه العلماء: هو مطابقة الخبر للواقع والكذب عكسه. وعرفه البعض الآخر: استواء الظاهر والباطن والسر والعلانية. كثيراً منا يظن أن الصدق هو صدق اللسان فقط، فصدق اللسان هو ركن من أركان الصدق وله أهميته ومنزلته

ولكنه لا يمثل إلا جانباً واحداً من جوانب الصدق الكثيرة والمتعددة. والإنسان لا يبلغ مرتبة الصديقية حتى تتحقق فيه أركانها جميعاً، فلا بد من معرفة أقسام الصدق ومراتبه حتى نربي أنفسنا عليها ونجعله واقعاً في حياتنا اليومية. فالصدق الذي نريد أن نربي أنفسنا عليه:

١. صدق اللسان (الأقوال): ويندرج تحته نقل الأخبار وهذا يتطلب منك التثبت بما تقول وتجنب الظنون والحذر من التحدث بكل ما تسمع. يقول ﷺ: كفى بالمرء كذباً (وفي رواية "إثماً") أن يُحدث بكل ما سمع. وكما قال ﷺ: إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث. ويندرج تحت صدق اللسان الصدق في الوعد والوفاء به مهما كانت الظروف. مطلوب منك أن تصدق بوعدك. إذا وعدت أحاك بعمل أو مال أو موعد للقاء فيجب عليك أن تفي بوعدك. الصدق بالوفاء بالعهود والعقود, مطلوب منك أن تفي بالعهود التي بينك وبين الله وذلك بتوحيده وتعظيمه والعمل بما أمرك به من الفرائض (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ). من الفرائض أن تفي بالعهود مع رسول الله ﷺ بإتباع سنته والذب عنها وتقديم قوله على قول كل أحد ومن خالف ذلك فهو كاذب في دعواه وشابه المنافقين في صفاتهم. يقول عز وجل: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ). ومطلوب منك أن تفي بعهدك مع الناس مع إخوانك المسلمين ومع غير المسلمين الذين أدخلونا إلى ديارهم بالعهد فلا يجوز لك أن تخون العهد. وقد حذرنا نبينا ﷺ من ذلك واعتبر خيانة العهد والغدر من أشد الكذب ومن أركان النفاق وآيات المنافقين كما قال ﷺ فيما رواه الشيخان: أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر. وقال ﷺ فيما رواه أحمد من حديث أبي هريرة: لا يجتمع

الإيمان والكفر في قلب امرئ، ولا يجتمع الكذب والصدق جميعاً، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعاً.

٢. أما الركن الثاني من الصدق والذي ينبغي أن نربي أنفسنا عليه صدق النية والإرادة: والمقصود به إخلاص أعمالك لله عز وجل، أن يكون الدافع لأعمالك وأقوالك التي تقوم بها من صلاة وصيام وصدقة وغيرها ابتغاء وجه الله، وأن يكون ظاهره معبراً عما في باطنك، فإذا تكلمت بخلاف ما في قلبك فهذا يدل على عدم الصدق في النية كما قال الله عز وجل واصفا المنافقين: **(يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)**. ومن ذلك حديث الثلاثة "أول من تسعر النار بهم يوم القيامة" فإن كل واحدٍ منهم لما خالفت سريره علانيته قيل له: كذبت. لأنه كان كاذباً في نيته وإرادته الباعثة على العمل. فالعالم لما قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قيل له: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ. وكذا الذي قاتل ليقال شجاع والمنفق ماله ليقال كريم. لما كانت بواعث الأعمال في حقيقتها غير وجهه سبحانه قيل لهم: كذبتم.

٣. ومن مراتب الصدق التي ينبغي أن نربي أنفسنا عليها: الصدق في العزم والوفاء به: مثال ذلك أن تعاهد الله وتقول لئن رزقني الله مالاً لأتصدقن بكذا وكذا... ولئن عافني الله من هذا المرض سأحافظ على طاعته ولن أعود إلى معصيته. فإن كنت ممن يفي بالعزم فأحمد الله فأنت من الصادقين وإن كنت غير ذلك فأحذر أن تكون من الكاذبين المنافقين الذين وصفهم الله بكتابه **(وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنِائَاتِنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)**. فالصدق في العزم يستلزم الوفاء به عند التمكن منه ثم الاستمرار على ذلك الوفاء.

أسأل الله أن يجعلنا من الصادقين...

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله

٤. ومن مقامات الصدق التي يجب أن نربي أنفسنا عليها: الصدق في الأعمال. فمطلوب منك ومن كل مسلم أن يجاهد نفسه لتكون سريرته وعلانيته واحدة. واضرب مثالا على ذلك: بعض الناس عندما يصلي أمام الناس يتظاهر بالخشوع والقلب ليس كذلك. وتجد بعض الإخوة إذا صلى أمام الناس أطال في صلاته وأظهر خشوعه، وإذا صلى وحده يصلي أربع ركعات في أقل من دقيقتين!!! وقس على ذلك في جميع العبادات. فلا بد أن تنتبه إلى هذه النقاط حتى تكون من الصادقين. لا بد أن تكون خاشعا من أعماق قلبك.

٥. ومن مقامات الصدق الصدق في العواطف والأحاسيس: هذا النوع من الصدق يحتاجه الزوج مع زوجته والزوج مع زوجها، يحتاجه الإخوة بينهم. فالمسلم الصادق في محبته لأخيه المسلم يتمنى له الخير والتوفيق في حياته، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه. لا بد أن تكون صادقين في محبتنا. ليس من الصدق أن تقول لأخيك بلسانك إني أحبك في الله وتحمل له الكره والبغض والحقد والحسد في قلبك. فوصيتي لكم أيها الأخوة تحقيق وتصحيح معاني الصدق في حياتنا.

٦. ومن مقامات الصدق الصدق في مقامات الدين: من الخوف والرجاء والحب والتوكل والرضا واليقين وغيرها. ومثال ذلك: تجد بعض الناس يدعى خوفه من الله ثم تنظر إلى واقعه فتجد يتخلف عن صلاة الجمعة والجماعة، تجده يسرق ويزني ويغش فهذا كاذب بإدعائه، لو خاف من الله لما عصاه. أصبح كثير منا يخاف من المخلوق ولا يخاف من الله، يخاف من حاكم ظالم، يخاف من قاطع طريق. عندما يرى ظالما يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنصص عليه عيشه. ولكن عندما يرتكب أحدا معصية يخاف أن يراه المخلوق ولا يخاف من الخالق!!! فلا بد أن نجعل

مخافة الله بين أعيننا وذلك بالاستقامة على أوامره واجتناب نواهيه. ولا بد أن نكون صادقين في محبة الله، لو نظرنا إلى واقعنا لوجدناه يناقض هذه الدعوة إلا من رحم الله. ورحم الله القائل:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى بالقياس شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

واعلموا أيها الأخوة أن من علامات الصدق:

١. الشعور بالطمأنينة والسكينة.
٢. ومن علاماته الزهد بالدنيا والاشتغال بالأعمال الصالحة.
٣. الصدق في الحديث.
٤. قبول الحق والتسليم له مهما كان قائله صغيراً أو كبيراً عدواً أو صديقاً.

ومن ثمرات الصدق:

١. تفريج الشدائد وكشف الكربات والنصر على الأعداء. ومن ذلك قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار. فقال أحدهم إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق الله فيه. ففرج الله عنهم بصدقهم فخرجوا.
٢. ومن أعظم ثمرات الصدق في الدنيا حسن الخاتمة. فالعبد عندما يصدق ويتحرى الصدق يكتب عند الله صديقاً، ويوفق إلى قول كلمة الصدق عند موته التي هي: شهادة أن لا إله إلا الله. ومن كان آخر كلامه من الدنيا "لا إله إلا الله" دخل الجنة.

ومن الوسائل الموصلة للصدق:

١. توحيد الله عز وجل ومعرفة سببانه حق المعرفة.
٢. التخفف من الدنيا وعدم الركون لها.
٣. تحري الصدق في الحديث.
٤. الإكثار من الدعاء والاستغفار واللجوء إلى الله عز وجل.
٥. الاجتهاد في الطاعات والأعمال الصالحة.
٦. مصاحبة الصالحين والتأسي بهم وقراءة سيرهم.

أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وفي مقاصدهم ونياتهم وفي عقودهم وعهودهم.